أولا : أهمية اللغة للفرد والمجتمع

ان الانسان - كما يقول علماء الاجتماع - اجتماعى بالطبع يحس بهذا المجتمع ويميل الى الاختلاط ببنى جنسه وقد أصبح من المستحيل على كل فرد منا أن يعيش بعزلة عن مجتمعه الذى يعيش فيه وينتمى إليه لأن الحياة وسبلها أصبحت معقدة وصار من اللازم على كل فرد منا أن يتصل باخوته ويتعاون معهم مستعينا بشتى وسائل الاتصال وأهم هذه الوسائل اللغة "إذ لابد أن يدور فى فلك اللغة التى اصطلح عليها المجتمع لأن هذا الفلك هو الوشيجة التى تربطه به فى الفهم والافهام وإلا لم يستطع أن يفهمه عنه والا استغلق الأمر وعميت الوسيلة التى يتخذها وسيلة للفهم والافهام [1] وعن هذا المعنى يقول أستاذنا الدكتور تمام حسان " ولولا اللغة لعاش الانسان حبيس العزلة الاجتماعية غير عالم بكل مايجرى حوله من الأحداث الاجتماعية والفردية [2].

ولقد أصبح الاتصال بين أفراد المجتمع الواحد أمرا ضروريا لأن كل إنسان يحتاج إلى اللغة فى كل شأن من شئون حياته سواء منها ما يتصل بقضاء حاجاته الأولية أو ما يتصل بتنظيم نواحى نشاطه المختلفة إذ انها تقوم بربط أفراد المجتمع بعضهم ببعض وتوجيه نشاطهم إلى ما يحقق لهم غايتهم وإزالة العوائق والحواجز التى توجد بين الافراد والمجتمعات بل انها طريق لفهم الكون والحياة [3].

ولا تقتصر أهمية اللغة فى المجتمع على ما سبق أن ذكرناه بل انها وسيل رقى الأمم فى كل نواحى الحياة إذ هى وسيلة الاحتفاظ بالخبرات التى مرت بالانسان فبواسطتها تسجل الأجيال خبراتها التى تمر بها وتحتفظ بها للأجيال

---

(١) اللغة ج فندريس ص ٢٤ وعلم المعانى د.درويش الجندى ص٢ ودور الكلمة فى اللغة ص١٦.

(٢) اللغة بين المعيارية والوصفية ص ٨ ودور الكلمة فى اللغة ص١٦.

(٣) اللغة فى المجتمع م.م لويس ص ٧٠ اضواء الدراسات اللغوية المعاصرة ص٧٢

التى تخلفها بل ان اللغة تسهل للانسان أن يضيف إلى ما كتبه السابقون بدلا من أن يوجه جهوده إلى إعادة البحث فيما بحثوا فيه . بل انها أخطر الظواهر الاجتماعية الانسانية على الاطلاق لأنها" فى أحضان المجتمع تكونت وجدت يوم أحس الناس بالحاجة الملحة إلى التفاهم فيمابينهم[٤] .

واللغة الانسانية تلعب دورا عظيما فى تقدم الأمم وتعمل على رقيها وحضارتها لأن " كل تقدم اجتماعى كتب له الكمال إنما تم بواسطة اللغة تصور طائفة من الناس مجتمعة على عمل معين لا يتم إلا بالتعاون بين أفراد هذه الطائفة فسوف لا تجد وسيلة للاتصال أنجع فى هذا الباب من اللغة وبواسطتها يسير العمل وتنسق الجهود الفردية وتمزج فى مجهود جمعى عام[٥] وليكن معلوما ان تقسيم العمل وتوزيعه وتصريف شئون المجتمع الانسانى كل هذا يرجع إلى فضل اللغة .

إننى أستطيع أن اقرر انه لا وجود لمجتمع انسانى بدون اللغة وانه لا توجد لغة بمعزل عن مجتمع " إذ أنها قد دانت بنشوئها إلى وجود احتشاد اجتماعى[٦] ونمت فى أحضانه وتفاعلت مع مظاهر الحياة فيه إن " اللغة من الحياة الانسانية وللحياة الانسانية وبدون الانسان لا كيان للغة إن عاش عاشت وان مات ماتت [٧] .

وينبغى أن نعرف ان اللغة وعاء لثقافة المجتمع التى تتوارثها الأجيال المتعاقبة جيلا بعد جيل والتى تشمل ذلك النسيج الكلى المعقد من الأفكار والمعتقدات والعادات والتقاليد والاتجاهات والقيم وأساليب التفكير والعمل وأنماط السلوك وكل ما ينبنى عليها من تجديدات

---

(٤) اللغة ج . فندريس ص ٣٥

(٥) مناهج البحث فى اللغة ص ١ . واللغة والمجتمع راى ومنهج ص ٢٠، ٢١

(٦) اللغة ج . فندريس ص ٣٥ .

(٧) نحو عربية ميسرة ص ٨٨.

او ابتكارات أو وسائل فى حياة الناس مما ينشأ فى ظله كل عضو من أعضاء الجماعة . ومما ينحدر إلينا من الماضى فنأخذه أو نطوره فى ضوء ظروف حياتنا وخبراتنا (٨) .

والثقافة تتضمن عناصر معنوية مثل اللغة والنظم والقوانين والعادات والتقاليد والاتجاهات كما تتضمن عناصر مادية مثل المساكن والزخارف ... الخ . ويمكن أن يدرس الدارس عناصر الثقافة المادية - ولو سطحيا - بملاحظة ما يتعلق بها من الأشياء فحسب ولكن الثقافة المعنوية لا يمكن دراستها إلا بملاحظة ما يقوله أعضاء الجماعة وما يفعلونه حين يقولون ذلك وكثيرا ما يتعذر فهم الأشياء المتصلة بالثقافة المادية فهما دقيقا إلا إذا عرفنا أسماءها ... من كل هذا نستنتج أن اللغة ليست عنصرا من عناصر الثقافة بل إنها أساس كل أنواع النشاط الثقافى (٩) .

واللغة أداة استمرار الثقافة لأن الثقافة لا تكون مستمرة إلا باللغة تورث معها وتبقى ببقاء ما يدل عليها من المفردات والتراكيب الأمر الذى يجعل اللغة أداة لربط الاجيال المختلفة من الشعب الواحد . " لأن احساس الخلف بجهة شركة لغوية بينه وبين السلف كفيل بخلق الاحساس بالوحدة الشعبية بينه وبينه (١٠) .

وتعد اللغة من أولى الدعائم وأهمها للقومية ومقوما فعالا من أعظم مقوماتها " وإلى وحدة اللغة ركنت القوميات . (١١)

---

(٨) المناهج د. مراد كامل ص ٣٨ ، ٣٩ . واللغة ج. فندريس ص ٢٤ واللغة والمجتمع راى ومنهج ص ١١ ، ١٢ ودور الكلمة فى اللغة ص ١٥.

(٩) اللغة بين المعيارية والوصفية ص ٥ .

(١٠) مناهج البحث فى اللغة ص ١ . اللغة ج فندريس ص ٢٤ ودور الكلمة فى اللغة ص ١٢ .

(١١) علم اللغة د . احمد مختار عمرص ٩٣ .

ومن حسن حظ العرب أن رابطة اللغة العربية من أقوى دعائم القومية العربية التى تربط - بين أبناء الوطن العربى الكبير إذ يمكنهم بواسطة اللغة أن يتفاهموا ويتعاونوا على الرغم من اتساع الرقعة ووجود الحواجز والحدود .

وينبغى أن نعرف ان اللغة وسيلة من أعظم الوسائل لكسب الاصدقاء من الأجانب إذ ان كل أجنبى يتعلم لغتك مكسب لك لأنه يجد نفسه أكثر استعدادا للشعور كما تشعر والتفكير كما تفكر ويعطف على آمالك وآلامك التى تعلمها من قراءة لغتك والتحدث بها . ولقد فطن الأوربيون لذلك فأنشئوا لهم مدارس فى البلاد الأجنبيه تعلم لغتهم فكانت لغاتهم أول سلاح من أسلحة السيطرة على البلاد التى استعمروها(١٢).

وكما تكون اللغة وسيلة من وسائل الاصلاح وأداة من ادوات التقدم والرقى الاجتماعى وطريقا من طرق التفاهم تكون وسيلة من وسائل اثارة الشقاق والخلاف بين الافراد والشعوب . والازمات السياسية التى نراها اليوم تعد من أوضح الادلة على ذلك ومما يذكر فى هذا المقام ما رواه أحد الباحثين من أن سوء تفاهم لغوى هو الذى تسبب فى القاء القنبلة الذرية على هيروشيما فى اليوم السادس من شهر اغسطس من عام ١٩٤٥ فقد ذكر ان امريكا وجهت الانذار المعروف لليابان تطلب منها فيه التوقف عن الحرب وأن تستسلم فأجابت اليابان بلغتها مستخدمة كلمة تفيد (انهم يبحثون الانذار) ولكن المترجم نقل معنى آخر للكلمة - هو أحد المعانى المعجمية لها - يفيد ان اليابانيين يرفضون الانذار فكان ما كان وذهب مئات الالوف ضحايا عصر الفهم هذا ومهما بلغت هذه الرواية

---

(١٢) مناهج البحث فى اللغة ص ٣٠

من الصحة فإن المهم أنها ممكنة الحدوث وهى تحدث على مستويات أقل فى كل زمان ومكان (١٣) .

ولأن اللغة لها دور خطير وقدر عظيم وأهمية كبيرة فى حياة الأفراد والشعوب على حد سواء يجب أن تكون محل غاية واهتمام من الدارسين .

تطور اللغة :

نود ان نقرر ان اللغة متطورة متغيرة الأمر الذى وضعه علماء اللغة المحدثون فى اعتبارهم عندما رسموا للدارسين منهجا لدراستها.

ونقرر فى هذا المقام ان اللغة قابلة للتطور والتغير وتطور بالفعل من آن الى آخر (١٤) إذ أنها لا تعرف الجمود وهى فى تطورها تتحرك دائما فى كل اتجاه وفى كل قطاع من قطاعاتها المختلفة غاية ما فى الامر .

إن هذا التطور قد يكون بطيئا فلا يدركه الناس ولا يحسون به " فالنظام الصوتى يستقر منذ الطفولة ويستمر طول الحياة فالانسان يحتفظ حتى آخر حياته بمجموعة من الحركات التى تعودت عليها أعضاؤه الصوتية منذ طفولته اللهم إلا أن يحدث له عارض ناتج من التعليم وذلك فى حالة أن يتلقن نطقا أجنبيا يحل محل النطق القومى (١٥) وشابهه فى البطء النظام الصرفى ذلك " بأن الصرف لا يتغير أثناء جيل

---

(١٣) أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة للدكتور نايف خرما ص٧٥.

(١٤) التطور اللغوى التاريخى ص ٢٧.

(١٥) اللغة ج فندريس ص ٢٤٦ .

بل هو كالصوتيات إنما يتغير بالانتقال من جيل إلى جيل[١٦] وقد تكون هذه التغيرات اللغوية تحدث فى زمن قصير جدا كما فى مفردات اللغة إذ أنها لا تستقر على حال لأنها تتبع الظروف فكل متكلم يكون مفرداته من أول حياته إلى آخرها بمداومته على الاستعارة ممن يحيطون به فالانسان يزيد من مفرداته ولكنه ينقص منها أيضا ويغير الكلمات فى حركة دائمة فى الدخول والخروج[١٧] ولهذا كان ادراك هذه التغيرات أمرا بسيطا سهلا .

وتطورت اللغة لأنها قطعة من المجتمع نشأت منه وسارت معه ولذلك كانت صورة للمجتمع الذى يتخاطب بها تنهض بنهوضه وتركد بركوده[١٨] وتتطور اللغة وتتغير لو انتقلت بعيدا عن موطنها بل يزداد تطورها لو ازدادت انتشارا فى الخارج وزاد متكلموها وتنوعوا لأن اللغة فى هذه الحالة ستدخل فى صراع مع لغات ولهجات جديدة بل ويكون تطورها أسرع مما لو بقيت فى مكانها .

وتتطور اللغة ويبدأ تطورها هذا فى العادة بداية فردية بمعنى ان الذى يقوم بعملية التطور قد يكون فردا أو افرادا اتفقوا بمحض الصدفة فإذا ما شاع وذاع هذا الشئ الجديد المخترع قد صادف هوى لديها ودفعها إلى القيام به وربما قام بعض افرادها بهذا الاختراع . وعندما تقبل الجماعة اللغوية هذا الشئ الجديد المخترع يصبح جزءا لا يتجزأ من الحقائق اللغوية للغة المعينة ثم يستقر فى البيئة ويصبح تقليدا لغويا يعد الخروج عنه شذوذا . وستيفن أولمان

---

(١٦) اللغة ج فندريس ص ٢٤٦

(١٧) نفس المرجع السابق ص ٢٤٦

(١٨) فى اللغة والادب ص ٣٠

يذهب الى " ان اللغة ليست جامدة ساكنة بحال من الاحوال بالرغم من أن تقدمها قد يبدو بطيئا فى بعض الاحايين فالاصوات والتراكيب والعناصر النحوية وصيغ الكلمات ومعانيها معرضة كلها للتطور .

ولكن سرعة الحركة والتغير فقط هى التى تختلف من فترة زمنية إلى أخرى ومن قطاع إلى آخر من قطاعات اللغة .وكل التغييرات التى تصيب اللغة ـ مهما اختلفت فى طبيعتها وسرعتها ومجالها ـ تسير وفقا لقاعدة أساسية واحدة وهى أنها دائما وأبدا تقع على مرحلتين المرحلة الأولى مرحلة التغير نفسه أو الابتداع والتجديد هذا الابتداع فى الكلام الفعلى وهو لذلك عمل فردى كالكلام نفسه ولكن هذا لا يعنى انه مقصور على فرد واحد فقد يتصادف ان يتفق افراد لا حصر لهم على الابتداع فى وقت واحد بل قد يحس به عدد آخر من الجماعة اللغوية المعينة بأن هذا الابتداع كان حاضرا باذهانهم وكان فى استطاعتهم ان يبدوا به وربما فعلوا .

هذا القبول الاختيارى وهذا الاتفاق الانبعاثى عاملان أساسيان فى المرحلة الثانية" وهى مرحلة انتشار والتغير " فاذا سمع هذا الشئ المبتدع فى عبارة أو فى عبارات كما هو الأهم الأغلب علق بالذهن وترتب على ذلك استعمال الآخرين له ونفذ بالتدريج الى نظام اللغة .

وهكذا نرى ان المرحلة الأولى فردية والثانية اجتماعية معتمدة فى أساسها على قوة التقليد(١٩).

وأسباب هذا التطور اللغوى تظهر بوضوح فى الدور الذى تقوم به الأجيال القادمة وانتقال اللغة من جيل إلى آخر تال له يطور

---

(١٩) دور الكلمة فى اللغة ص١٥٦– ١٥٧

اللغة ويجعلها غير جامدة وغير ساكنة إذ أن هذه الأجيال حين اكتسابها للغاتها القومية تتعرض لاحتمالات سوء الفهم وتغيير القواعد والنظم الثابتة والانحراف عنها إن اللغة حين تنتقل من جيل إلى جيل آخر على فترات تتخللها تغيرات وانحرافات دائمة وهذه الحقيقة ذاتها تؤدى إلى المرونة فى الاستعمال وإلى عدم ثبات الظواهر اللغوية أكثر من أى عامل آخر (٢٠).

ومن أسباب التطور اللغوى تطور المجتمع الذى يضم اللغة فى أحضانه ويمدها بأسباب الحياة كما ان لظروف المجتمع التاريخية دخلا كبيرا فى تطور اللغة " إذ أن تطور اللغة المستمر فى معزل عن كل تأثير خارجى يعد أمرا مثاليا لا يكاد يتحقق فى أية لغة بل على العكس من ذلك فإن الأثر الذى يقع على لغة ما من لغات مجاورة كثيرا ما يلعب دورا كبيرا فى التطور اللغوى (٢١).

ويقول فندريس فى موضع آخر" والتطور اللغوى يعتمد اعتمادا وثيقا على الظروف التاريخية فبين التطور اللغوى والظروف الاجتماعية التى تتطور فيها اللغة صلة وثيقة إذ أن تطور المجتمع يستتبع تطور اللغة فى طريق معينة (٢٢).

وتطور المجتمع وتأثيراته الاجتماعية. وظروفه التاريخية لا تساعد على التطور اللغوى أو تعجل به فحسب بل إنها توجه هذا التطور إلى الوجهة التى تتلاءم وظروف المجتمع وتحدد مداه" ان التأثير الاجتماعى لا يعوق تطور اللغة أو يعجل به فحسب بل أيضا

---

(٢٠) دور الكلمة فى اللغة ص ١٥٧

(٢١) اللغة ج. فندريس ص ٤٣٣

(٢٢) اللغة ج فندريس.

يعين اتجاه التطور ومداه "(٢٣).

ومن الأسباب التى تعتمدعليها اللغة فىتطورها وتساعد على نموها وسيرها فى طريق التقدم الفكرى وما له من أثر كبير فى تطور اللغة " فاللغة تسهل الفكر وتساعد على نمو الفكر ونمو الفكر يعود هو فيؤثر فى اللغة ونموها وتطورها(٢٤).

بل إن أهم هذه الاسباب يتحدد فى وجود المجتمع الذى يتحدث باللغة إذ أن تطور اللغة بمعزل عن المجتمع أو بعيدة عن الافراد المتكلمين بها المستعملين لها أمر بعيد الحصول قريب من درجة الاستحابة " ومن الخطأ أن نعد اللغة كائنا مثاليا تتطور مستقلة عن البشر وتتبع أغراضها الخاصة بها(٢٥).

كما ان " تطور اللغة بمعزل عن أى تأثير خارجى يعد أمرا مثاليا لايكاد يتحقق(٢٦) وأكثر من هذا السبب أهمية احتكاك اللغات بعضها ببعض فلو حدث أن إنتشرت لغة فى منطقة جغرافية جديدة فإنه من المسلم به أن المنطقة الجغرافية كان يتفاهم بها أبناؤها ويتعاونون ويتعاملون فيما بينهم اذ انه يستحيل ان تعيش هذه المنطقة فى فراغ لغوى ونتيجة لالتقاء اللغتين الدخيلة الجديدة . والاصلية القديمة يحدث بين هاتين اللغتين الاحتكاك ويستحيل ان تعيش إحدى اللغتين بمعزل عن اللغة الأخرى بل لابد أن يحدث بينهما التأثير والتأثر وتكون النتيجة أحد شيئين (أ) قد تتمكن اللغة الدخيلة من القضاء على اللغة الأصلية وتحل محلها (ب) وقد يحدث أن تبقى اللغتان الدخيلة والأصلية متجاورتين تتأثر إحدى اللغتين بالاخرى وتؤثر فيها.

---

(٢٣) اللغة ج فندريس ص ٤٣٨

(٢٤) نحو عربية ميسرة ص ٨٤

(٢٥) ج فندريس ص ٤٣٣

(٢٦) نفس المرجع السابق ص ٤٣٣ . بيومى مدكور ص ٣٢

ويرى علماء اللغة المحدثون ان هذا الاحتكاك أهم أسباب التطور اللغوى إلى حد أن ذهب بعضهم إلى القول بأنه لا تتطور لغة بدون احتكاك واختلاط " إذ أن استقرار لغة فى مكان ما يحجرها ويقعد بها عن النمو والتطور فإذا ما انتقلت وانتشرت نفذت بغذاء خارجى أضيفت إليها عناصر أخرى واكتسبت حياة جديدة (٢٧).

(ب) اختلاط طلبة الجامعات والمعاهد والمدارس وانتقال الطلبة والموظفين المنتظم من اقليم إلى آخر يساعد على التخلص من الخصائص اللغوية المحلية بالتدريج وبالتالى على ظهور لغة مشتركة.

(ج) اجتماع الناس الذين يتكلمون لغة واحدة عند أداء شعائرهم الدينية كاجتماع المسلمين مثلا عند أداء فريضة الحج وعند اجتماعهم للاحتفال بالمولد النبوى الشريف وغيره من الموالد والتى يكون لاجتماع الناس فى مثل هذه الاجتماعات الدينية أثره العظيم فى توحيد اللهجات أو التقريب بينها وتكوين لغة عامة تزول فيها الخصائص اللغوية المحلية الخاصة بكل منطقة لغوية.

(د) قراءة المتكلمين بلغة معينة لأدب أدباء كتبوه بلغة نموذجية ومحاولتهم تقليد ما قرءوه عندما يكتبون ولولا وجود هؤلاء الأدباء ما تكلم القراء أو كتبوا باللغة العامة ولا يقع فى خاطر قارئ ان اللغة العامة قد كونها أديب واحد لأن هذا القول نأى عن الصواب لأن البحث أظهر ان كل لغة كانت مكونة قبل أن يبدأ أى اديب فى كتابته وشابه الكتب الادبيه

---

(٢٧) فى اللغة والادب د. ابراهيم

فى إحداث هذا الأثر الغناء الشعبى لأنه من الأدب . والسينما والتليفزيون والاذاعة والصحف والفرق الفنية المتنقلة والتبادل الثقافى بين مناطق اللغة الواحدة .

(هـ) المصاهرة بين أصحاب اللهجات المختلفة توحّد اللهجات أو تُقرّب بينها فى الخصائص اللغوية لأن الرجل وزوجته يتكلمان لغة مشتركة فى غالب الأحيان يحاول أبناؤهم حفظها وتقليدها من بعدهم.

(و) توحّد دويلات أو ولايات كانت مستقلة ولها لهجات خاصة بها يساعد على ظهور لغة عامة مشتركة إذ أن هذه الدويلات التى اتحدت ستسمح لمواطنيها بالانتقال والاختلاط والاتصال بين المواطنين الأمر الذى يساعد على أن تتخلص كل لهجة من الخصائص اللغوية المحلية . واتفاقهم على لغة عامة مشتركة.

(طبيعة التطور اللغوى) :

وأود وأنا فى هذا المقام أن أتحدث عن " طبيعة التطور اللغوى".

إن اللغة فى تطورها تسير فى اتجاهين(أ) أحد هذين الاتجاهين يتجه دائما نحو الانقسام والتوزيع وتكون النتيجة تفتت اللغة وتشعبها إلى لهجات متفرقة واستدل اصحاب هذا الاتجاه بتفرق اللغات إلى لهجات كثيرة متعددة فالسامية قد تفرقت الى عربية وعبرية وسوريانية وأكادية ـ لغة بابل وآشور ـ وآرمية وكنعانية وحبشية .والعربية قد تفرقت إلى مصرية وسورية ولبنانية وعراقية ... الخ والمصرية انقسمت الى لهجات وهكذا السورية والعراقية واللبنانية.... الخ وتمسك بعض علماء اللغة المحدثين بهذا الاتجاه معتمدين على وجود لغات كثيرة فى العالم فى عصرنا الحاضر وأميل إلى أن السبب فى انقسام اللغات وتفرعها إلى لهجات كثيرة هو كثرة عدد السكان فى أيامنا الحاضرة عن عددهم فى الأيام الغابرة وسوء المواصلات الامر

الذى يؤدى إلى قلة الاختلاط الاجتماعى بين متكلمى اللغة الواحدة وتفرق المساكن الذى يؤدى إلى تفرق السكان وتخلخلهم الأمر الذى يساعد على انقسام اللغة الواحدة إلى لهجات (٢٨) .

ونستطيع أن أخرج بنتيجة مؤداها يتضح فى أنه عندما لا تتوفر عوامل الاختلاط الاجتماعى بين المتحدثين باللغة المعينة تسير اللغة نحو الانقسام والتفرق .

(ب) ثانى هذين الاتجاهين هو مناهضة انقسام اللغات وميلها نحو التوحيد بين اللهجات الذى يعيد للغة توازنها ويعتمد هذا الاتجاه على الاتصال بين أهل اللغة الواحدة وكثرة اختلاطهم ومشاركتهم الفعالة فى الحياة العامة وغيرها من العوامل التى تساعد على التوحيد والتشارك فى خصائص لغوية واحدة كما تساعد على التخلص من الخصائص من اللغوية الخاصة بكل منطقة (٢٩) .

وقد يتحقق الاختلاط ويقوم الاتصال الفعال بين المتحدثين بلغة واحدة ممثلا فى صور متعددة أهمها (أ) اجتماع الناس واختلاط الكثيرين منهم بعضهم ببعض بسبب تأسيس المعارض وعقد الأسواق الموسمية وإقامة المباريات العامة ..... الخ .
" إذ تقود الوحدة الوطنية عادة إلى لغة قومية " (٣٠).

(ز) ظهور المدن الكبيرة ونزوح كثير من الناس على اختلاف أقاليمهم ولهجاتهم إليها يساعد على تكوين لغة عامة مشتركة .

---

(٢٨) اللهجات العربيه للدكتور ابراهيم نجا ص ١٤، ١٥ والمدخل الى علم اللغة للدكتور رمضان عبد التواب ص ١٧٢، ١٧٣ والتطور اللغوى للدكتور ابراهيم السامرائى ص ٣٢.

(٢٩) التطور اللغوى د. السامرائى ص ٣١.

(٣٠) فى اللغة والادب ص ٣٢ د. ابراهيم بيومى مدكور .

(د) اختلاط الجنود واجتماعهم أثناء الحرب يساعد على التخلص من خصائص اللهجات المحلية وظهور لغة عامة مشتركة إذ أن الحرب قد تكون سببا فى اختلاط الجنود من جهات مختلفة والتقائهم ببعضهم الأمر الذى يساعد على تكون لغة عامة مشتركة (٣١).

ذكرنا فيما مضى بعض صور يتحقق فيها الاختلاط والاتصال الاجتماعى الذى يساعد على التخلص من خصائص اللغة المحلية وظهور اللغة عامة مشتركة . وهذه صور متشابكة ومعقدة وتسير كلها فى اتجاه واحد وهو اتجاه توحيد اللهجات وظهور لغة عامة مشتركة لأن حياتنا الاجتماعية تقوم على العمل المشترك لقوى متعددة مختلفة لا رابطة بينها أعظم اثرا من رابطة اللغة اذ ان للغة دورها العظيم فى تشكيل المجتمع وتنظيمه .

وأحب أن أشير الى ان هذه العوامل تختلف فى طبيعتها اذ يمكن أن تكون هذه العوامل سياسية وقد يجوز أن تكون اقتصادية وقد يمكن أن تكون أدبية أو اجتماعية .. الخ.

كما انها تختلف فى قوة تأثيرها ودرجة فعاليتها فى تحقيق لغة عامة مشتركة ، وتضم هذه العوامل الموحدة بين اللهجات قاعدة عامة تضم كل الاحتمالات .

ونلخص كل الصور المعينة على توحد اللهجات المحلية للغة المعينة قائلين إن الظروف الاجتماعية وما يتبعها من اتصال واختلاط بين الناس هى العوامل الأساسية فى إزالة الفروق اللغوية المحلية

---

(٣١) اقرأ فى عوامل الانقسام والتوحيد كتاب اللهجات العربية د. ابراهيم ص ١٤- ٢٧ . والمدخل إلى علم اللغة ص١٧٢- ١٧٦ ومعالم اللهجات العربية ص ٢٤- ٤٦. والتطور اللغوى للدكتور السامرائى ص٣٢-٣٤ فى اللغة والأدب ص ٢٤ .

وتوطيد أركان لغة عامة ، ولا يلزم أن توجد كل صور الاختلاط والاحتماع حتى تتوحد اللغة أو تقرب اللهجات .

وأحب أن أقرر أن عربيتنا الفصحى ولهجاتها تتعرض لكثير من عوامل التوحيد اللغوى إذ نجد الكلمة المكتوبة ممثلة فى الصحف والكتب والدوريات والاعلانات ، والكلمة المسموعة ممثلة فيما تلقيه على مسامعنا الاجهزة الحديثة ودور العرض المختلفة ، والاحتكاك اللغوى الذى ساعد عليه سهولة المواصلات وازالة العوائق ، الامر الذى يبشر بحدوث تقارب لغوى بين اللهجات العربية المختلفة .

وأحب أن اقرر وأنا فى مقامى هذا إن من المستحيل حدوث توحد لغوى تام بين اللهجات لأن كل منطقة يلزم أن يحتفظ أفرادها ببعض الخصائص اللغوية المحلية فى لهجاتهم لا فرق فى ذلك بين طبقة وأخرى . وأحب أن أقرر ان كل فرد من المتكلمين باللغة العامة المشتركة له سلوكه اللغوى الخاص ، فهو يضفى على اللغة ما تعلمه فى طفولته وما تثقفه فى حياته وما ورثه عن آبائه ومخالطيه من عادات نطقيه الأمر الذى يجعل المتكلم بعيدا عن الصورة المثالية للغة العامة المشتركة .

وليكن معلوما أنه ينتج عن الاختلاط والاتصال لغة عامة مشتركة لا يعرف سامعها إلى اى منطقة ينتمى متكلمها[٣٢] ، ولغة يستطيع المتكلم أن يتفاهم بها مع من لا يستطيع أن يتفاهم معه بلهجته الخاصة ، لغة تخلصت من كل الخصائص اللغوية المحلية التى قد تعوق التفاهم بين الفرد وسواه ممن لا ينتمى إلى المنطقة التى ينتمى هو إليها[٣٣] ، إنها

---

(٣٢) مستقبل اللغة المشتركة ، ص ٥

(٣٣) التطور اللغوى ، د. عبدالرحمن أيوب ، ص ١٢١

اللغة التى تصدر عن روح العصر، وتتمشى مع حاجاته ومطالبه على أخصر صورة ، وأوضح مظهر ذلك اننا فى جيل ينشد الاختصار والسرعة فى كل شئ ، وينفر من تلك الالفاظ والعبارات التى تعوق تفكيرنا وحركاتنا ، هذا إلى نتعشق الوضوح الذى تمليه الحياة الحرة الصريحة (٣٤).

انها اللغة التى تعلم فى المدارس ، ويجرى بها تدريس المواد المختلفة فى معاهدها وتؤلف بها الكتب والصحف والمجلات وتصدر بها المكاتبات الرسمية وغيرها وتستخدم فى مناحى الوعظ والخطابة وتلقى بها الاوامر .

..

"دور الجامعات فى التقريب بين اللهجات "

إن من المسلم به أن اللغة متغيرة متطورة ، تتغير وتتطور من آن إلى آخر فى كل اتجاه ، وفى كل قطاع من قطاعاتها ، غاية ما فى الأمر ان هذا التطور قد يكون بطيئا لا يدركه الناس ولا يحسون به ، ومهما يكن من أمر فان الحقيقة تصرخ فى وجوهنا قائلة بأن اللغة دائما فى تطور وتغير (٣٥) .

والتطور يشمل كل قطاعات اللغة على حد سواء ، تجد التطور متناولا الاصوات ، والصرف ، والنحو ، ومعانى الألفاظ غير ان هذا التطور فى بعض القطاعات أسرع منه فى بعضها الاخر.

---

(٣٤) فى اللغة والأدب ، ص ٢٩

(٣٥) التطور اللغوى ص ٤٩، فى اللغة والأدب ، ص ٣٢

ولغتنا العربيه كغيرها من اللغات قد خضعت ولا تزال تخضع لهذا القانون ، ولا تستطيع الافلات منه ، اذ ان لغتنا العربيه لم تصل الى ما وصلت اليه فى عصر المعلقات من غزل امرئ القيس ، وحماسة مهلهل ، وفخر ابن كلثوم ، الا بعد ان مرت بادوار ومراحل اعداد وتكوين طويل ، ثم جاء الاسلام فهذب حواشيها ورقق عباراتها وصقل ألفاظها واستمرت تنمو وتفرز لفظا ومعنى فى عهد الدولة الاموية وصدر الدولة العباسية ، ولكن الزمن يهدم ما بنى فدخلها الغريب والفاسد ، وأخذت تركد بركود المتخاطبين بها ، وما ان حل النصف الاخير من القرن الماضى حتى عادت تنشط وتنهض وتسلك سبل الحياة فى حماسة وقوة (٣٦) ، وتسير بخطوات وئيدة نحو التطور ، وكان من نتيجة تطورها ان العربية التى يتكلمها العرب اليوم لها لهجات(٣٧) ،لهجة مصرية وأخرى سورية وثالثة سورية ورابعة عراقية ... الخ . وكل لهجة من هذه اللهجات لها مميزاتها وخصائصها التى تتميز بها من الناحية الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية ومن الجائز من الناحية العلمية ان نطلق على لهجة كل اقليم لغة لها لهجاتها إننا نجد بمصر لغة عربية خاصة بمصر وذات مميزات تتميز بها عن لغات الاقاليم العربية الأخرى واللغة العربيه المصريه لها لهجاتها المتفرعة عنها لهجة خاصة بالقاهرة ، ولهجة خاصة بالاسكندرية ، ولهجة خاصة بالوجه البحرى ، ولهجة خاصة بالوجه القبلى ، وهكذا ..

والذى أود أن أوضحه هو ان كل لهجة لها خصائصها الصوتية والصرفيه والنحوية والدلالية ، وهذه الخصائص تجعل الفرق بين كل لهجة وأخرى واضحا(٣٨) ما دامت تجمعها لغة أم. وهذه اللهجات

---

(٣٦) فى اللغة والادب ، ص ٢٧ .
(٣٧) أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، ص ٢٢٦
(٣٨) التطور اللغوى ، د. عبدالرحمن أيوب ، ص ١٢٥

يجمعها وضوح متبادل ، فإن كانت توجد بعض الاشياء التى تغمض على غير متكلمى اللهجة ، وان كلا منا يمكنه أن يرى بوضوح ان كلمات غريبة على مسمعه يسمعها ولا يدرك لها معنى ، الأمر الذى يدفعنا إلى سؤال المحيطين بنا من أبناء اللهجة .

ولا تقتصر الخصائص على الناحية الدلالية ، بل تمتد إلى الخصائص الصوتيه والصرفيه والنحوية . إننى أقيم بإقليم وأعمل بعيد ، إننى لا أخفى عليكم أنه صادفتنى كلمات لم أعرف مدلولها :

قابلنى من يقول جمبر ، وجعمز

قاصدا ما يطلق عليه فى لهجتى :" اجلس " .

قابلنى من يقول (الشمش) قالبا السين الى شين .

قابلنى من يقول : الديش والدبل بقلب الجيم دالا وهى سمة من سمات أهل جرجا .

قابلنى من يقول: " قاطع السبجة واللبجة " قاصدا انه عامل زراعى لا يبقى أى شئ من الحشائش الطفيلية .

قابلنى من يقول " دلجيط " قاصدا هذا الوقت .

وأن هذه اللهجات الاقليمية تعيش جنبا إلى جنب مع اللغة العربية الفصحى الخاصة بالاقليم المصرى ، وان نظرة إلى هذه اللغة المشتركة تبين لنا بوضوح انها تعيش حاضرا طيبا إذ هى لغة العلم والأدب والصحافة ، لغة الاذاعة المسموعة والمرئية ، لغة الكتّاب والشعراء والمبدعين ، مفرداتها مصقولة محكمة دقيقة ، وجملها محكمة

النسج كثيرة التنوع، دائمة التطور، وإن عباراتها سهلة يسيرة طريفة وشيقة ، وإن شعر شعرائها يحوى إلى جانب البيان الرائع والنسج المحكم خيالا بديعا ووحدة عضوية متصلة ، وتصويرا خلّابا لخلجات النفس وجمال الطبيعة وظواهر المجتمع .

وإننى أقرر فى غير مبالغة ان شعراءنا المعاصرين المجيدين لا يقلون عن شعراء العربية الفصحى فى عصور ازدهارها . وان نثر العربية فى عصرنا الحالى به تحرر وانطلاق ولين ورقة وفلسفة ومنطق وأفكار ومعان يجمع إلى عمق الأفكار جمال التعبير وصحة التركيب وحسن المعالجة للموضوعات ودقة التصوير للمجتمع وآماله وآلامه ومشاكله .

ويوجد بلغتنا الفصحى الحاضرة ألوان حديثة من التعبير تمثلت فى القصة والرواية والمقالة والبحث .

وإنتاج هذه اللغة غزير ومتنوع ، وإنسانى، وقومى يشبع ميول كل قارئ وسامع ، ويمتّع نفس كل راغب .

وهذه اللغة العربية الفصحى لا تزال تصطدم باللهجات العامية ، ويقع المتكلمون والسامعون فى حيرة واضطراب بسبب وجود لغة عامة مشتركة ولهجة عامية يتحدثون بها أى انهم يتحدثون بغير ما يكتبونه .

وإن اجتماعنا اليوم فى هذا المؤتمر الموقر لبحث دور الجامعات فى التقريب بين اللهجات لهو خطوة على طريق ازالة الفوارق بين اللغة الفصحى ، واللهجات المتفرعة عنها .

وإننى أقرر ان الجامعات تعد من أكبر العوامل المساعدة على التقريب بين اللهجات إذ أنها تتوفر بها معظم عوامل التوحيد، وهذا

يبدو بوضوح فى الاختلاط الذى تخلقه الجامعات بين الطلاب القادمين من أقاليم مختلفة اللهجات ، وفى الاتصال بين المتكلمين إن كل طالب من الطلاب أتى من بيته وهو يحمل عادات نطقية خاصة بلهجته ، وما أشد حرص كل طالب على أن يتكلم مع زملائه بلهجة متوافقة مع لهجة كل زميل من زملائه عند تعاونه وتعامله معهم، مبغدا قدر الطاقة فى مجال حديثه العادات النطقية الخاصة حتى لا يصبح مثار ضحك وتعليقات زملائه. وما أجل أثر هذا الاختلاط والاتصال فى التقريب بين اللهجات وإيجاد لهجة مشتركة . و مما يساعد على هذا وييسره وجود الجامعات وانشاؤها بكل إقليم.

وينبغى ألا ننسى ان الطلبة يسمعون لغة فصيحة ميسرة من أساتذة يحاضرون ، ويناقشون ، ويحاورون ، وهذه اللغة الفصيحة الميسرة ينقلها الطلاب عن الأساتذة وتستقر فى أعماقهم وباستمرار العمل تصبح لغة الاستاذ عادة نطقية من عادات الطلاب تستوعبهاعقولهم وترددها ألسنتهم ، الأمر الذى يكون من أهم العوامل المقربة بين اللهجات ، والذى يجب أن يلتزمه الاستاذ هو أن يتكلم بلغة فصيحة ميسرة حتى يكون عاملا مساعدا من عوامل التقريب بين اللهجات.

وليكن معلوما أن دور الجامعات ليس مقصورا على طلبة مختلطين مستمعين ، وأساتذة شارحين ، بل إن لها أعظم الأدوار فى نشر الثقافة والمعرفة ، وفى تقدم البحوث والعلوم ، وهذا من أكبر العوامل فى التقريب بين اللهجات.

إننا نجد بالجامعات محاضرات تلقى، ومناظرات تقام، ومجلات حائطية تعلق هنا أو هناك. نجد المحاضرات العلمية ، والدينية ،

و الثقافية ذات أثر عظيم فى نشر العلم والمعرفة ، وفى تقدم العلوم والفنون ، وفى توجيه السلوك والعادات والاخلاق .

ونجد المناظرات التى تعلم الطلبة آداب الجدال، وطرق الحوار والنقاش . وما أجمل هذه المناظر وما أعظمها مصدرا من مصادر الثقافة والمعرفة والعلوم، وما أجمل أثرها فى التقريب بين اللهجات بسبب ما تخلق من وسائل الاتصال، وبسبب ما تحقق من عوامل الاختلاط ، الأمر الذى يجعل اللهجات تسير نحو التوحد .

وإن للجامعات وأنشطتها الطلابية فنية وثقافية وعلمية ورياضيه واجتماعية دورا كبيرا يتيح الفرص للاجتماع والاتصال والاختلاط بين الطلاب والطلاب ، وبين الطلاب والاساتذة المشرفين ، إننا فى المباريات الرياضية ، وفى الحفلات الفنية السنوية نرى الاختلاط بأبرز صوره ، والاتصال على أعلى المستويات بين طلاب من أقاليم مختلفة الامر الذى يعمل على إذابة الفوارق بين اللهجات والفصحى ، ويمحو العادات النطقية الخاصة . وفى ظنى ان هذا يعمل على التقريب بين اللهجات والفصحى ، ويساعد على خلق لهجة قريبة من اللغة الفصيحة الميسرة .

ولا ينبغى أن ننسى ان الجامعات تخلق لنا الشباب المثقف الواعى القادر على القراءة والاطلاع، والمتابع للمناقشات والمحاورات بين الأساتذة والعلماء، وقادة الفكر ، والثقافة ، والمنصت لما يلقى من فكر ، ولما يساق من أحاديث ، ولما يتردد من علم ومعرفه وثقافة ، وفى ظنى ان كل هذا يعمل بكل تاكيد على إذابة الفوارق بين اللهجات والفصحى ، ويخلق لنا عامية قريبة من اللغة الفصحى الميسرة .

ولا يغيب عنا أن الجامعات فى احيان كثيرة تعلن عن مسابقات

تدور حول موضوعات علمية وثقافية ودينية ، وهذه المسابقات تدفع الطلاب إلى العكوف على مصادر العلم والمعرفه والمراجع التي تزيد الطلاب علما وثقافة ومعرفة ، وهذا بكل تأكيد يقرب بين اللهجات والفصحى .

وهل يمكن أن يغيب عن أذهاننا ونحن فى هذا المقام ان اختلاط الطلاب والطالبات قد ينتج صداقة بين طالب وطالبة تنتهى بزيجة موفقة يكون من نتائجها ذرية صالحة تتكلم لغة فصيحة ميسرة ذابت فيها الفوارق بين اللهجات والفصحى.

ومما يؤكد ما أقول ان عاميتنا الحالية تكاد تقرب من اللغة الفصيحة الميسرة التى نكتب بها الصحف والمجلات وتتردد على ألسنة المثقفين والمتعلمين، وفى ظنى أن السبب فى هذا يرجع الى شيوع التعليم، وتنوع وسائل الاعلام ، وتيسر طرق الاتصال بين المتكلمين ، وتوفر مجالات الاختلاط بين المتحدثين.

إننى أذهب إلى أن لهجاتنا فى هذه الايام تسعى بخطا وئيدة إلى أن تقرب من اللغة الفصيحة الميسرة ، وتتلخص من الفوارق اللغوية الخاصة بين اللهجات ، ولن يسرع بتحقيق هذا إلا شيوع الثقافة ، وتيسر التعليم ، وتوفر وسائل المعرفة ، وهذا هو ما تفعله وتساعد على تحقيقه الجامعات .

إننى أتخيل نتيجة المعرفة والثقافة عامية قريبة من اللغة الفصيحة الميسرة التى نكتب بها فى الصحف والمجلات والدوريات وتلقى بها المحاضرات ، وتتردد فى وسائل الاعلام. إننى أتخيلها عامية

سليمة الأبنية متخيرة الألفاظ ، صحيحة العبارات ، واضحة الدلالات ، متخلصة من الاعراب لأن متكلميها يكتفون بتسكين أواخر الكلمات عندما تشيع الثقافة وتنتشر وسائل الاعلام ، وعندما يتم الاتصال ويحدث الاختلاط ، ولا توجد عوائق تعوق وسائل المواصلات .

ولسنا عند اكتفائنا بتسكين أواخر الكلمات محدثين أمرا عجيبا غريبا ، بل فعلته قبائل عربية قديمة ، إذ أن ربيعة كانوا يلتزمون الاسكان فى الموقف ، ويجعلونه مطردا كذلك فى المنصوب والمنون فيقولون : (رأيت زيد) (٣٩)

وان اقتراب اللهجات من الفصحى يحتاج منا إلى مران وتدريب حتى يكون النتاج لغة تدور على الألسنة ، وتكاد تكون مزاجا بين اللغة الفصيحة واللهجات العامية فيها فصاحة الأولى وجزالتها وسهولة العامية وخفتها وقربها من الافهام .

ولا شك ان هذا يلقى على العلماء والادباء واللغويين أعباء ثقالا مستمرة ، فهم مطالبون بأن ينتجوا ، وبأن يعدلوا وينقحوا ، بأن يهذبوا وييسروا ، بأن يبتكروا ويجددوا ، بأن يملؤوا اللغة حياة وقوة وحركة (٤٠) .

ومما لا شك فيه أننا فى المستقبل القريب سوف نستخدم لغة أكثر شبها باللغة التى تكتب بها الصحف وتذاع بها نشرات الاخبار ، وتدون بها المعلومات ، وتسير بها أمور المجتمع ، وتؤلف بها المؤلفات العلمية ، والمقالات ، والروايات ، والقصص .

وان اجتماعنا اليوم فى مؤتمرنا الموقر هذا لهو خطوة على الطريق .

وبالله التوفيق ،،،

---

(٣٩) البهجة المرضية ، ص

(٤٠) اللغة والادب ، ص ٣٢